

مشكل القرآن الكريم في تفسير ابن عاشور (التحرير والتنوير) سورة البقرة انموذجا

- دراسة موازنة

ا.د. حيدر علي نعمة

م.م. انور حسن شارد

الجامعة العراقية/ كلية الاداب/ قسم علوم القرآن

noor.h.shared@aliraqia.edu.iq

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد واله وصحبه اجمعين ، اما بعد...
أعظم علم رقت اليه الهمم اذ انه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ،
والمعجز بلفظه ، والمتعبد بتلاوته .

الا انه قد التصق بالعلم شيء من الجهل وخالطه اليقين شيء من الوهم ، فأختلفت مدارك الناس
وافهامهم واراتهم في فهم مراد الله من آيات كتابه الكريم ، ولهذا كان في القرآن آيات ليست بالقليل
يستشكلها كثير من الناس بل وتوهم من نظر في القرآن نظرة قاصرة ان في القرآن الكريم تناقضا
وحاشاه ان يكون فيه شيء من ذلك، انما سبب ذلك قلة العلم غالبا، وسوء النية والمعتقد احيانا .
فهياً الله تعالى لخدمة كتابه العزيز طائفة من العلماء يفسرونه ويؤولنه ويدفعون شبهات الطاعنين
عنه ويزيلون الاشكالات في فهم آياته التي علقت في اذهان الكثير من الناس فصنفوا في ذلك
مصنفات قيمة ومتنوعة دفعت الاشكال عن آيات القرآن.

ولا يخفى على أهل العلم ان تفسير (التحرير المعنى السديد ، وتنوير العقل الجديد من تفسير
الكتاب المجيد) للامام الطاهر ابن عاشور (رحمه الله) من اهم تلك التفاسير التي عالجت مُشكل
القرآن ، اذ نهل من منهل جهود العلماء الذين سبقوه في هذا المضمار ، ولذلك استطاع ان يتميز
ويضيف في هذا العلم الذي نحن بصددده و بيانه في هذا البحث ، فكانت خطة بحثي هي: مقدمة
ومبحثين وخاتمة ، ففي المبحث الاول تناولت مفهوم مُشكل القرآن الكريم وفيه مطلبين: المطلب
اولا (تعريف القرآن الكريم)

والمطلب الثاني : (تعريف مُشكل القرآن الكريم)

اما المبحث الثاني : (ضوابط وانواع المُشكل القرآني في تفسير ابن عاشور)

ويتكون من مطلبين: المطلب الاول (ضوابط ايراد مُشكل القرآن في تفسير ابن عاشور)

والمطلب الثاني : (انواع الاشكال الذي يطراً على الآيات القرآنية في سورة البقرة)

اما الخاتمة ففيها اهم النتائج التي توصلت اليها في بحثي.

والحمد لله رب العالمين .

المبحث الأول: تعريف مشكل القرآن الكريم

المطلب الأول : تعريف القرآن الكريم

القران لغة : كما جاء في مقاييس اللغة والقرو : حوض ومنه القران كانه سمي بذلك لجمعه ما فيه من الاحكام والقصص وغير ذلك⁽²¹⁾ .

وجاء في لسان العرب : قرأه يقرؤه ويقرؤه قرأً وقراءة وقرآنا فهو مقروء ، وسمي كلام الله قرآنا لأنه يجمع السور فيضمها. ⁽²²⁾

فقد ايد القرآن الكريم معاجم اللغة لما وردت من تعاريف في قوله تعالى (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) ⁽²³⁾

القرآن اصطلاحا : عرفه تقي الدين السبكي (هو الكلام المنزل للاعجاز بسورة منه) ⁽²⁴⁾

وعرفه الشوكاني : هو الكلام المنزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف المنقول اليها نقلاً متواتراً. ⁽²⁵⁾

⁽²¹⁾ مقاييس اللغة ، احمد ابن فارس 79/5.

⁽²²⁾ لسان العرب ، ابن منظور 128/1.

⁽²³⁾ سورة النحل :98.

⁽²⁴⁾ الابهاج في شرح المنهاج ، تقي الدين السبكي 190/1.

⁽²⁵⁾ ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الاصول ، محمد الشوكاني 85/1.

المطلب الثاني : تعريف مُشكل القرآن الكريم

أولاً: المشكل لغة

ذكر اللغويون معاني متعددة للفظ المشكل ومن معانيه ما يأتي :-

- ورد في مقاييس اللغة بأن الشين والكاف واللام معظم بابه المماثلة ، تقول : هذا اشكل هذا أي مثله ، ومن ذلك يقال : امر مشكل ، كما يقال : أمر مشتبه أي هذا شابه هذا وهذا دخل في شكل هذا⁽²⁶⁾.

- ورد في أساس البلاغة بأن المشكل من شكل ويقال : هذا شكله أي مثله ، وقلت اشكاله وهذه الأشياء اشكال وشكول ، وهذا من شكل ذاك : من جنسه .⁽²⁷⁾

- ورد في لسان العرب بأن المشكل مشتق من فعل اشكل ويعني التبس ، وامور اشكال أي ملتبسة .⁽²⁸⁾

- ورد في القاموس المحيط بأن المشكل من الشكل وهو التشبيه والمثل ، ويستعمل للأمر المختلفة المشكلة ، وصورة الشيء المحسوس والمتوهمة⁽²⁹⁾.

وبذلك نقول : ان المعنى اللغوي للمشكل حافلاً بالمعاني الاتية :

⁽²⁶⁾ ينظر : مقاييس اللغة ، ابن فارس ، 204/3.

⁽²⁷⁾ ينظر: اساس البلاغة ، الزمخشري 571/1.

⁽²⁸⁾ ينظر : لسان العرب، ابن منظور 505/13.

⁽²⁹⁾ ينظر: القاموس المحيط ، الفيروز ابادي 1019/1.

المماثلة ، الاشتباه ، الاختلاط ، الالتباس ، الإدخال ، والإخفاء .

ثانياً: المشكل في الاصطلاح

المشكل عند المفسرين : هو الالتباس والاختلاط بين آيتين متقاربتين في المعنى بحيث يصعب التوفيق بينهما دون الامعان في النظر⁽³⁰⁾ .

وما اشتبه المراد منه على وجه لا يعرف تأويله الإبدليل يتميز به من باقي سائر الأشياء المختلفة
(31) .

ومن تأمل في هذا التعريف يرى ان المفسرين جعلوا مشكل القران فيما يوهم التعارض والتناقض والاختلاف حتى وصفه بعض علماء علوم القران تحت العنوان (في مشكله وموهم الاختلاف والتناقض).⁽³²⁾

ومن الأمثلة التي توضح التعريف قوله تعالى (وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا)⁽³³⁾ ظاهر الآية يدل على غسل ظاهر البدن لا باطنه ، ولكن وقع الاشكال في غسل الفم والانف في الجنابة وكلاهما باطل في الوجه ، ومن يعتمد الوجه الأول يقول بعدم وجوب غسلهما في الجنابة ، ومن يعتمد الوجه الاخر يقول بوجوب غسلهما فيه .⁽³⁴⁾

⁽³⁰⁾ ينظر: تيجان البيان في مشكلات القران ، محمد امين العمري ص4.

⁽³¹⁾ ينظر: معجم علوم القران ، ابراهيم محمد الجرحي ص279.

⁽³²⁾ الاتقان في علوم القران ، السيوطي ص475.

⁽³³⁾ سورة المائدة: 6.

⁽³⁴⁾ ينظر : اسرار الوصل والفصل في البلاغة القرانية ، صباح عبيد ص59.

المُشكَل عند المحدثين : هو الحديث الذي خفي فيه المعنى واحتاج الى شرح الغريب منه . (35)
ومن الامثلة التي توضح التعريف قوله صلى الله عليه وسلم (لا يدخل احد منكم الجنة عمله) .
(36)

هذا حديث يسبب التعارض لقوله تعالى في الآية (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (37).
ويمكن ان نضع تعريفا (للمُشكَل القرآن الكريم) شاملاً جامعاً مفهوماً محدداً دقيقاً من خلال
التفاسير

مُشكَل القرآن الكريم: هو كل ما يطرأ على بعض العلماء من المفسرين وغيرهم من التباس في
بعض الفاظ آيات القرآن الكريم وخفاء في معانيها ، يأتي سبب من أسباب المشكل بحيث لا يعرف
المراد منها الا بعد البحث ، والطلب ، أو التفكير ، أو الاستقراء سواء في اللفظ ام في المعنى ،
ام في توهم التعارض ، ام في الاعراب ، ام في القراءات ، فلم يفيدوه بنوع دون اخر . (38)

(35) ينظر : معاجم غريب الحديث والاثر والاستشهاد بالحديث في اللغة والنحو ، السيد الشرقاوي ص75 .
(36) صحيح مسلم-كتاب صفة القيامة والجنة والنار - باب لن يدخل احد الجنة عمله بل برحمة الله تعالى برقم
2171/4 (2817).

(37) سورة النحل :32.

(38) حيث نجد هذه الشمولية في مصطلح المشكل من خلال الكتب المؤلفة قصداً لجمع الايات التي اشكلت على
المفسرين مثل كتاب (تأويل مشكل القرآن) لابي محمد عبد الله بن قتيبة وكتابي (التفسير المُشكَل من
غريب القرآن) و(مُشكَل اعراب القرآن) لمكي بن ابي طالب وكتاب (نظم الاسئلة التي تتعلق ببعض
المشكلات في القراءات العشر) لعلي الطرابلسي وكتاب (دفع ايهام الاضطراب عن آي الكتاب)
لمحمد الامين الشنقيطي.

المبحث الثاني : ضوابط وأنواع المشكل القرآني في تفسير ابن عاشور

المطلب الأول : ضوابط ايراد مشكل القران في تفسير ابن عاشور

لقد تبين من خلال استقراء تفسير التحرير والتنوير ، ان ورود المشكل في القران عند ابن عاشور يكون وفق ضوابط تحدد اوجود لمشكل خلال تفسيره للآيات ، فلا يكون مشكلاً وهي كالاتي :

الضابط الأول : " التنصيص "

ونجد ان ابن عاشور قد سلك هذا الضابط منهجين :

الأول : انه ينص صراحة على المشكل عند المفسرين

ومثاله : يقول ابن عاشور : "موضع اشكال عند جميع المفسرين " (39) (١)

الثاني : انه ينقل مانص عليه احد المفسرين أو بعضهم من استشكال في الآية :

فنجده ينقل عن القرطبي فيقول : " قال القرطبي : وهي من اشكل ما في السورة " (40) (٢)

الضابط الثاني : " الحيرة في الاختلاف "

ان يختلف المفسرون اختلاف تضاد ، حيث يصل المتأمل الى حيرة عند النظر في اقوالهم ،

فبسبب ذلك يراه -رحمه الله - اشكالاً في الآية فيورده ، ومن امثلة ذلك : يقول ابن عاشور مبينا

حيرة المفسرين : " وتردد المفسرين في تأويلها تردداً دل على الحيرة في تقويم معناها " (41) (٣)

الضابط الثالث : " عدم الاقناع "

ان يأتي المفسرون بتوجيه فيرى - رحمه الله - انه لا ينشرح له الصدر ، أو يترتب عليه اشكال

أو عدم اهتمامهم باشكالها، فيعتبره اشكالاً ثم يورده ، على سبيل المثال يقول ابن عاشور في

هذا الضابط : " وقد تحير المفسرون وذكروا وجوها لا ينشرح لها الصدر " .

(39) التحرير والتنوير: ابن عاشور 71/8.

(40) ينظر: المصدر نفسه 26/23؛ الجامع لاحكام القران ، القرطبي 34/15.

(41) التحرير والتنوير 126/22.

الضابط الخامس : "مايوهم ظاهره التعارض " ان يكون بين الايات ما يوهم ظاهرها ايهاً يدعو الى التأمل والنظر .

الضابط السادس : " حالات اشكال القراءات المتواترة " (42)

يورد -رحمه الله - الاشكال اذا كانت هناك قراءة متواترة مردودة من قبل عالم معتبر ، او مضعفة او لحتت من قرأ بها ، او يوجد حيرة في توجيهها.

المطلب الثاني :أنواع الاشكال الذي يطرأ على الايات القرانية في سورة البقرة

اولاً: منهج ابن عاشور في التعامل مع مشكل اللغة في سورة البقرة

1- تحديد المشكل :

وذلك في قوله تعالى : (فَدَبَّحُوها وَما كادُوا يَفْعَلُونَ) (43) .

حدد ابن عاشور المشكل في الاية بالنص عليه بعد بيان تأويلها قائلاً : ان قوله تعالى (وَما كادُوا

يَفْعَلُونَ) يقتضي بحسب الوضع نفي مدلول كاد ، فأن مدلولها المقاربة عدم وقوعه بالاولى.

فيقال : انى يجتمع ذلك مع وقوعه ذبحها يقول : (فَدَبَّحُوها) فما الوجه القانع للاشكال

؟ (44)

(42) المصدر نفسه 20/11.

(43) سورة البقرة :71.

(44) التحرير والتنوير:557/1.

2- تحرير المشكل

ان (كاد) كما قال النحويون - من افعال المقاربة ، وضع لدنو الخبر حصولاً ، وهو بمعنى :هم ولم يفعل.

فقولهم: كاد يفعل ، قار الفعل ولم يفعل وان معنى "ما كاد يفعل" ماقارب الفعل ، فخيرها منفي دائماً اما اذا كانت منفية فواضح ، لانه اذا انتفت مقاربة الفعل انتفى عقلاً حصول ذلك الفعل ، ودليله قوله تعالى : (إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْهَا) (45) ، هو ابلغ من نفي رؤية من لم يراها ، لان من لم يرَ قد يقارب الرؤية ، بخلاف من لم يرَ ولم يقارب .

3- جواب المشكل

قال الطاهر : (وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ) يقتضي بحسب الوضع نفي مدلول كاد ، فإن مدلولها المقاربة ونفي مقاربة الفعل يقتضي عدم وقوعه بالاولى ، فيقال : انى يجتمع ذلك مع وقوع ذبحها بقوله : (فَذَبِحُوهَا) (46)

وقال الطاهر : عندي ان هذا هو الحق ، وهو ان نفيها في معنى الاثبات ، وذلك لانهم لما وجدوها في حالة الاثبات مفيدة معنى النفي جعلوا نفيها بالعكس ، كما فعلوا في (لو) و(لولا) ويشهد لذلك مواضع استعمال نفيها فانك تجد جميعها بمعنى مقاربة النفي ، لا نفي المقاربة ، ولعل ذلك من قبيل القلب المطرد ، فيكون قولهم : (وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ) (ولم يكذب يفعل) بمعنى : كاد مايفعل (47) .

(45) سورة النور: 40.

(46) ينظر: التحرير والتنوير 557.

(47) المصدر نفسه 559.

4- الترجيح

قال الطاهر : (فاما على وجه الاستثناء فيمكن الجواب بأن نفي مقارنة الفعل كان قيل الذبح حين كرروا السؤال واطهروا المطال ، ثم وقع الذبح بعد ذلك وقد أجاب بمثل هذا جماعة ، يعنون : كأن الفعل وقع فجأة بعد ان كانوا بمعزل عنه ، على انه مبني على جعل الواو استثناءفاوقد علمتم بعده.) (48)

وهذا ماذهب اليه ابن مالك في (الكافية) (49)

ثانيا : المشكل في اللغة في قوله تعالى (لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا) (50)

1- تحديد المشكل

قال الطاهر : اشكل عليهم الاستثناء ، لان المستثنى محكوم عليه بنقيض حكم المستثنى منه عند قاطبة اهل اللسان والعلماء الا خلافا لا يلتقن اليه في علم الأصول ، فصار هذا الاستثناء مقتضياً ان الذين ظلموا لهم عليكم حجة . (51)

2- تحرير المشكل

قال الطاهر : " محكوم عليه بنقيض حكم المستثنى منه عند قاطبة اهل اللسان والعلماء "

(48) المصدر نفسه 557.

(49) شرح الكافية الشافية ، ابن مالك 466/1.

(50) سورة البقرة : 150.

(51) التحرير والتنوير 46/2.

وقد اشكل على المفسرين والمعربين الاستثناء في الآية قوله تعالى (إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا) اخراج من الناس ، وهو بدل على المختار ، والمعنى عند القائلين بأن الاستثناء من النفي اثبات : لئلا يكون لاحد من الناس عليكم حجة الا الذين ظلموا بالعناد فإن لهم عليكم حجة . (52)

3- جواب المشكل

تعددت اقوال المفسرين في نوع (الا) في الآية وفيه قولان: أولا منهم من ذكر انها أداة استثناء وفيه رأيان : استثناء متصل ومنقطع ، وقولاً اخر : انها ليست إدارة استثناء ثم اختلفوا الى رأيين ايضاً : او لا انها بمعنى (الواو) وثانيهم انها بمعنى (بعد) (53)

وقال أيضا : في قوله تعالى (لئلا يكون للناس عليكم حجة علة) لقوله : فولوا الدال على الطلب للفعل وامثاله ، أي شرعت لكم ذلك لندحض حجة الأمم عليكم ، وشأن تعليل صيغ الطلب ان يكون التعليل للطلب هو باعتبار الاتيان بالفعل المطلوب ، فان مدلول صيغة الطلب هو إيجاد الفعل او الترك لا الاعلام يكون الطالب طالب والا لما وجب الامتثال للامر فيكتفي بحصول سماع الطلب لكن ذلك ليس مقصوداً. (54)

4- الترجيح

فان القول بأنه استثناء متصل هو الراجح على اختلاف توجيهات العلماء بمعنى الآية وهي من باب اختلاف التنوع . (قال السمين الحلبي : وهو اظهر الاقوال وهو اختيار الطبري ، وبدأ به ابن عطية ، ولم يذكر الزمخشري غيره انه استثناء متصل .) (55)

(52) ينظر : التحرير والتنوير ، 46/2.

(53) ينظر : تفسير الطبري 206/3.

(54) المصدر نفسه 46/2

(55) الدر المصون ، السمين الحلبي 178/2.

ثالثا : المشكل في اللغة في الاية (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ)⁽⁵⁶⁾

1- تحديد المشكل

قال الطاهر : (إضافة (ألد) للخصام اشكال لانه معناه يصبح شديد الخصام من جهة الخصام .
(57)

2- تحرير المشكل

ان كلمة (ألد) في الاية اختلفوا فيها بين ان تكون صفة مشبهة او اسم تفضيل . وكذلك (الخصام) بين ان يكون مصدر (خاصم) مثل كعب وكعب ، وكلاب وبحر وبحار .
ففي الاية اشكالان الأول: ان كان (ألد) صفة مشبهة و(الخصام) مصدر فيكون التقدير : وهو شديد الخصام من جهة الخصام ، فيكون في الاية تكرار يأباه النظم القرآني وهذا الاشكال الذي أورده الطاهر بن عاشور . (58)

والاشكال الاخر : ان كان (ألد) اسم تفضيل و(الخصام) مصدر مضافا الى الخبر (ألد) فإن المصدر لا يكون خبراً عن الجثة - أي : الذات ، فلا يقال مثلاً : زيد اشد القتال أو افصح الكلام او فرح سعادة ومثله (وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ) الجثة : أي الذات والمراد بنفسه ويقابله العرض وهو ما لا يقوم بنفسه . (59)

(56) سورة البقرة: 204.

(57) التحرير والتنوير 267/2.

(58) المصدر نفسه 225/13 .

(59) ينظر: النحو الوافي ،عباس حسن 481/1.

3- جوب المشكل

اختلف العلماء في فهمهم للأشكال الى قولين :

القول الأول : ان (الخصام) في الاية مصدر خاصم : يقال خاصم خصاماً ، نحو : قاتل قتالاً قاله الخليل وأبو عبيدة . (60)

القول الثاني: الإضافة على معنى (في) ، أي : وهو شديد الخصام في الخصام ، أي : في حال الخصام او كقولهم ثبت القدر . (61)

4- الترجيح

قال ابن عاشور من ان (ألد) بمعنى شديد الخصومة وان إضافة (الخصام) اليها مشكل ، فتأتي (ألد) على معاني منها بمعنى : . أعوج ، وتأتي بمعنى ذي جدال . (62) (٧)

فيقال : (ألد) مشتق من اللديدين وهما صفحتا العنق ، وسمي الخصم (ألد) لاعماله لديدية الخصومة ، وهما جانبا الفم . (63)

رابعا : المشكل في اللغة في الاية (فَإِذَا تَطَهَّرْنَا فَأَتَوْهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ) (64)

1- تحديد المشكل

قال الطاهر : " اشكل المراد من هذا الطرف على الذين تصدوا لتأويل القرآن " (65)

(60) البحر المحيط ، ابو حيان الاندلسي 123/2.

(61) ينظر : مفاتيح الغيب ، الرازي 216/5 ؛ الكاشف ، الزمخشري 416/1.

(62) معاني القرآن ، الزجاج 277/1.

(63) التحرير والتنوير 267/2

(64) سورة البقرة: 222.

(65) التحرير والتنوير 269/2.

2- تحرير المشكل

لقد تضمنت الآية الكريمة والتي بعدها أنواعا من الفصاحة وضروبا من البيان والبلاغة كالكناية ،

وذلك في قوله تعالى (فَأْتُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ)

يقول الطاهر بن عاشور : قد اشكل المراد من هذا الطرف على الذين تصدوا لتأويل القران ، وما

أرى سبب اشكاله الا ان المعنى قد اعتاد العرب في التعبير عنه سلوك طريق الكناية والاعماض

، وكان فهمه موكولاً الى فطنهم ومعتاد تعبيرهم ، لاجل ذلك اصبح كل واحد منهم يعبر عن الآية

بما فهمه من اسلوبها. (66)

3- جواب المشكل

قال الطاهر : ان المعنى من الفة التي امركم الله ، وهي الطهر ، فحيث مجاز في الحال او

السبب. (67)

4- الترجيح

رجح الطاهر بقوله "(حيث) مجاز في الحال او السبب ، والذين اراه ان (حيث) مستعملة في التعليل

مجازاً تخيالياً، أي : لان الله امركم بأن تأتوهن عند انتهاء غاية النهي بالتطهير ، او المراد بأمر

الله امره الذي به اباح التمتع بالنساء ، وهو عقد النكاح فحرف (من) للتعليل والسببية و(حيث)

مستعار للمكان المجازي وهو حالة الاباحة التي قبل النهي ، كأنهم كانوا محجوزين عن استعمال

الاباحة ، او حجر عليهم الانتفاع بما ، ثم اذن لهم باستعمالها ، فشبهت حالتهم بحالة من حبس

(66) المصدر نفسه 2/369.

(67) المصدر نفسه 2/370.

عند مكان ثم اطلق سراحه فهو يأتي منه الى حيث يريد وعلى هذين المعنيين لا يكون في الآية ما يؤذن بقصد تحديد الاتيان بأن يكون في مكان النسل. (68)

ثانيا: منهج ابن عاشور في التعامل مع موهم الاختلاف والتناقض في سورة البقرة

1- تحديد المشكل

في الآية (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى) (69)

قال الطاهر : قد تحير الناظرين (70) في قوله تعالى (مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) (71)

2- تحرير المشكل

اشكل ذكر قوله تعالى (مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) بعد قوله (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا)

لانهم جملة المذكورين في قوله : (الذين ءامنوا) فقال الطاهر : (قد تحير الناظرين في الاخبار

عن جميع المذكورين) بقوله: (مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ)اذ من جملة المذكورين المؤمنون وهل

الايمان الا بالله واليوم الاخر ؟ (72)

(68) التحرير والتنوير 370/2.

(69) سورة البقرة : 62.

(70) التحرير والتنوير 219/6.

(71) سورة المائدة: 69.

(72) المصدر نفسه 220/6.

3- جواب المشكل

يرى الطاهر - رحمه الله - في جواب الاشكال ان المراد ب(الذين ءامنوا) هم المسلمون ، وقوله (من ءامن بالله واليوم الآخر) شرط اليهود والنصارى والصابئين ، فيكون خبر (ان الذين ءامنوا) على هذا القول محذوفاً يدل على خبر ما يذكر بعده وهو قوله تعالى: (ولاخوف عليهم) ويكون قوله : (والذين هادوا) عطف جمل وهي في محل رفع مبتدأ ، وقوله (من ءامن بالله) مبتدأ ثان وتكون (من) موصولة والرابط للجملة والتي قبلها محذوف ، أي : من أمن منهم وجملة (فلهم اجرهم عند ربهم) خبراً عن (من) الموصولة واقترانها بالفاء لان الموصول شبيه بالشرط.(73)

4- الترجيح

الذي يظهر ان قوله تعالى : (ان الذين ءامنوا) يعني : من امة محمد صلى الله عليه وسلم ، لانهم هم الذين يستخوف الوصف بالايمان المطلق حيث امنوا بجميع الكتب والرسل واكثر العلماء رجحوا هذا القول ، لان لفظ المؤمن لا يتناول عند الاطلاق الا المسلمين . (74)

ثانياً: مشكل موهم التناقض في الاية (وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ...) (75)

1- تحديد المشكل

قال الطاهر : (وعلى ظاهر هذه الاية مشكل) (76)

(73) التحرير والتنوير 6/269.

(74) مفاتيح الغيب 3/536؛ البحر المحيط 4/98.

(75) سورة البقرة:102.

(76) التحرير والتنوير 1/640.

2- تحرير المشكل

ذكر الطاهر : اربع إشكالات في الاية كل واحد منها ظاهره التعارض مع ادلة الكتاب والسنة وحاصل هذه الإشكالات ان السحر كفر والملائكة عباد مكرمون منزهون عن الخطأ فما بالك بما هو اعظم من ذلك.

وهو ان الله انزل عليهم السحر ثم يرتكبون ما هو كفر في الحقيقة وهو تعليم السحر ، ويجتمعان بين تعليم الناس السحر والتحذير من الكفر والوقوع فيه، وما الحكمة في تصديهما لذلك قال رحمه الله :- فيها اربع إشكالات وهي كالآتي:

أولهما: كون السحر منزلاً ان حمل الانزال على المعروف منه وهو الانزال من الله.

ثانيهما: كون المباشر لذلك ملكين من الملائكة على القراءة المتواترة.

ثالثهما: كيف يجمع الملكان بين قولهما (انما نحن فتنة) وقولهما : (فلا تكفر) فكيف يجتمع قصد الفتنة مع التحذير من الموقع فيها .

رابعهما: كيف حصرا حالهما في الاتصاف بانهما فتنة فما هي الحكمة في تصديهما لذلك ، لانهما ان كانا ملكين - بكسر اللام - فهما قد علما مضرة الكفر بدليل انهما تورطا في هذه الحالة .
(77)

قال القاسمي: (اعلم ان للعلماء في هذه الاية وجوها كثيرة واقوالاً عديدة فمنهم من ذهب فيها مذهب الاخبار بين نقله الغث والسمين ، ومنهم من وقف مع ظاهرها البحث، ومنهم من تمحل قولاً المعنى الصحيح في غنى عنه ومنهم من ادعى فيها التقديم والتأخير ورد اخرها على أولها بما جعلها اشبه بالالغاز والمقيمات التي ينتزه منها بيان ابلغ كلام الى غير ذلك مما يراه المنتبِع لما كتب فيها . (78)

(77) التحرير والتنوير 1/640.

(78) ينظر : محاسن التاويل ، القاسمي 1/365.

3- جواب المشكل

بقول الطاهر في دفع هذا الاشكال في قراءة ابن عباس والحسن (الملكين) بكسر اللام وهي قراءة صحيحة فمعنى ذلك ان ملكين كانا يملكان ببابل قد علما علم السحر وعلى قراءة فتح اللام فالظاهر في تاويله انه استعارة وانهما رجلان صالحان كان حكما مدينة بابل اوهما وضعا اصله ولم يكن فيه كفر فادخل عليه الناس الكفر بعد ذلك . (79)

4- الترجيح

قيل : انهما ملكان انزلهما الله تعالى تشكلا للناس يعلمانهم السحر لكشف اسرار السحرة. (80)
ثالثا: مشكل موهم التناقض في الاية (وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ...) (81)

1- تحديد المشكل

تحديد النص المشكل قال الطاهر : (ولهم في الجواب عن دفع الاشكال وحوه) (82)

2- تحرير المشكل

الاشكال في الاية هو ان الله اثبت لهم العلم اولاً في قوله تعالى (ولقد علموا) ثم نفاه عنهم بطريق (لو) الامتناعية في قوله (لو كانوا يعلمون) يقول الطبري : (فكيف يكونون عالمين بأن من تعلم السحر خلاف له وهم يجهلون انهم بئس ما شروا بالسحر انفسهم . (83)

(79) التحرير والتنوير 1/641.

(80) المصدر نفسه 1/642.

(81) سورة البقرة: 102.

(82) المصدر نفسه 1/647.

(83) ينظر : تفسير الطبري، 2/369؛

3- جواب المشكل

ان المتأمل في اقوال المفسرين في دفعهم للاشكال يجدها مبينة على اختلافهم في مرجع ضمير (ولقد علموا) وضمير (لو كانوا يعلمون) فهل الضمير في العلم المنفي في قولهم (لو كانوا يعلمون) يعود الى مرجع الضمير نفسه في العلم المثبت في قوله: (ولقد علموا لمن اشتراه) او ان مرجع الضمير مختلف وهؤلاء الذين يقولون ان مرجع الضمير في الاية مختلف لا يرون في الاية اشكالا أصلا

فتأويل هؤلاء : ان الضمير في قوله (ولقد علموا) راجع الى الجن او الشياطين الذين يعلمون السحر وضميرا (لو كانوا يعلمون) راجعان الى الانس من اليهود الذين تعلموا السحر وشروا به انفسهم . (84)

ولذلك صار الذين اثبت لهم العلم غير الذين نفي عنهم فلا اشكال حينئذ لا خلاف المسند اليه العلم. (85)

4- الترجيح

ماذهب اليه الطبري في القول الراجح قول حسن، ويتماشى مع سياق الاية ، وهو ان الله تعالى ذم فعل المتعلمين من الملكين التفريق بين المرء وزوجه ، وقد علموا انه لا خلاق لهم في الاخرة ، واخبر الله تعالى عنهم انهم بنس ما باعوا انفسهم برضاهم بالسحر عوضا عن دينهم الذي به نجاة انفسهم من الهلكة جهلاً منهم بسوء عاقبة فعلهم وخسارة صفقة بيعهم اذ كان قد يتعلم ذلك منهما من لا يعرف الله ولا يعرف حلاله وحرامه وامره ونهيه . (86)

(84) تفسير القرطبي 56/2 ؛ مفاتيح الغيب 633/3.

(85) ينظر : تفسير البغوي 132/1؛ البحر المحيط 536/1 ؛ التحرير والتنوير 648/1.

(86) تفسير القرطبي 370/2.

ثالثاً: منهج ابن عاشور في التعامل مع المشكل بالمعنى في سورة البقرة

1- تحديد المشكل

مشكل المعنى في الآية (الم) (87)

يقول الطاهر : (تحير المفسرون في هاته الحروف الواقعة في اول هاته السور ، وفي فواتح سور أخرى عدة جميعها تسع وعشرون سورة ومعظمها في السور المكية ، وكان بعضها في ثاني سورة نزلت وهي (ن والقلم) ، واختلف بها ان تكون مثار حيرة ومصدر اقوال متعددة وابحاث كثيرة .

(88)

يقول أبو حيان بعدما سرد الاقوال في ذلك (فأنظر الى هذا الاختلاف المنشز الذي لا يكاد ينضبط في تفسير هذه الحروف والكلام عليها). (89)

2- تحرير المشكل

قال جماعة من العلماء بل يجب ان نتكلم فيها ونلتمس الفوائد التي تحتها والمعاني التي تتخرج عليها. (90)

قال الشوكاني : "ان كان تفسيره لها بما فسرهما به راجعاً الى لغة العرب وعلومها فهو كذب بحت ، فإن العرب لم يتكلموا بشيء من ذلك. (91)

قال ابن كثير : "والمسألة مختلف فيها، وليس فيها اجماع حتى يحكم به . (92)

(87) سورة البقرة : 1.

(88) التحرير والتنوير 206/1.

(89) البحر المحيط 28/1.

(90) المصدر نفسه 29/1؛ فتح القدير ، الشوكاني 50/1.

(91) المصدر نفسه 52/1.

(92) تفسير ابن كثير 159/1.

3- جواب المشكل

هذه الاحرف تسمى عند العلماء التفسير بالاحروف المقطعة او حروف التهجي ، وعدة جميعها تسعة وعشرون موضعاً، وهي لا تكون الا في بداية السور المكية ، الا في موضعين وردت فيهما في بداية سورتين مدنيتين وهما: البقرة وآل عمران.

وقد ذكر الطاهر واحداً وعشرين قولاً ، ارجعها الى ثلاثة أنواع وهي كالتالي :

النوع الأول : يرجع الى انها رموز اقتضت من كلم او جمل فكانت اسراراً يفتح غلقها اهل المعرفة.
النوع الثاني : يجمع الاقوال الراجعة الى ان هاته الحروف وضعت بتلك الهيئات أسماء او افعالاً.
النوع الثالث: تندرج فيه الاقوال الراجعة الى ان هاته الحروف حروف هجاء مقصودة بأسمائها لأغراض داعية لذلك. (93)

وقال الطاهر : (ونسب هذا القول الى الخلفاء الأربعة في روايات ضعيفة) ومما يؤكد عدم صحة القول عنهم انهم يقول عنهم نجد جملة من الصحابة والتابعين ممن نقله عنهم انهم يقول بأنها من المتشابه قد تناولوا ذلك بالبيان وبتاويل هذه الاحرف وكذلك غيرهم من أئمة السلف ، كما ذكر ذلك ابن جرير الطبري في تفسيره بالاسانيد المتصلة عنهم . (94)

والشواهد في هذا كثيرة ، فليس كونها في القران مما تنكره العرب في لغتها ، فينبغي اذا كان من معهود كلام العرب ان يطلب تاويله ويلتمس وجهه. (95)

(93) التحرير والتنوير 212/1.

(94) تفسير الطبري 209/1.

(95) المحرر الوجيز ، ابن عطية 28/1.

4- الترجيح

ان الراجح هو انها حروف هجاء دالة على اسم من أسماء الله . (96)

او تدل على قسم اقسام الله بها بنفسه سبحانه وتعالى وهي اسم للسورة التي وردت فيها ، كما سمي بذلك الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة بعض السور بالحروف المقطعة ، وقد افتتح الله بها في بعض سور القران مثلها مثل غيرها في بقية السور في أسماء الله كالرحمن او الثناء كالحمد او التنزيه كسبحان ، أو لتتنوع في معرفة بدايات السور هذا بالنسبة لذات الحروف . (97)

اما الحكمة من ورودها على هيئة الحروف مقطعة فهي : اما لتتبيه السامعين وإيقاظهم او للاعجاز والتحدي. ومما يقصد ما اخترته ، ويدل دلالة واضحة عليه اختلاف اقوال السلف وتتنوعها في بيانها فقد ورد عن ابن عباس عدة اقوال في روايات مختلفة وكذلك ابن مسعود ومجاهد والسدي ، وغيرهم ، ويقول ابن قتيبة بعدما سرد الاقوال (ولكل مذهب من هذه المذاهب وجه حسن ، ونرجو الا يكون ماأريد بالحروف خارجاً منها ان شاء الله) . (98)

ثانياً: المشكل بالمعنى في قوله تعالى : (وكان من الكافرين)

1- تحديد المشكل

المشكل في نص الآية (وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) (99)

(96) تفسير ابن كثير 1/160 .

(97) كسورة (ق) (ص) . ينظر : صحيح البخاري 5/2 برقم (819) عن طريق سفيان .

(98) تاويل مشكل القران ، ابن قتيبة 299 .

(99) سورة البقرة : 34 .

2- تحرير المشكل

قال الطاهر : (قد تحير اكثر المفسرين في بيان معنى الاية من جهة حملهم فعل (كان) على الدلالة على الاتصاف بالمفر فيما مضى عن وقت الامتناع عن السجود⁽¹⁰⁰⁾، ومن البديهي انه لم يكن يومئذ فريق يوصف بالكافرين فاحتاجوا ان يتمحلوا. (101)

3- جواب المشكل

من جهة قول الطاهر عند هذه الاية : من البديهي انه لم يكن يومئذ فريق يوصف بالكافرين فاحتاجوا ان يتمحلوا بان ابليس كان من الكافرين أي في علم الله ، وتمحل بعضهم بان ابليس كان مظهراً الطاعة مبطناً الكفر مقاماً . (102)

4- الترجيح

قال الطاهر : " والذي اراه احسن الوجوه في معنى (وكان من الكافرين) ان مقتضى الظاهر ان يقول : (وكفر) كما قال (ابى واستكبر) فعدل عن مقتضى الظاهر الى (وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) في مثل هذا الاستعمال على رسوخ معنى الخير في اسمها والمعنى : ابى واستكبر وكفر كفرة عميقاً في نفسه⁽¹⁰³⁾ ، وهذا كقوله تعالى (فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ) . (104)

(100) ينظر : التحرير والتنوير 426/1.

(101) تمحل : اي تكلفه واحتال ، ينظر : لسان العرب 616/11.

(102) التحرير والتنوير 260/12.

(103) المصدر نفسه 427/1.

(104) سورة الاعراف:83.

الخاتمة

وفي نهاية المطاف ، وبعد ان اكرمني الله تعالى باتمام هذا البحث ، فقد توصلت الى عدد من

النتائج المهمة ، يمكن اجمالها فيما يأتي:

1 - ان المشكل في القرآن امر نسبي ، فقد يشكل على احد ما يشكل على الاخر ، وبذلك يتبين

ان ليس كل اشكال للآيات له اعتباره ، وحظه من البحث فيه ، لذلك لم تتبع ابن عاشور كل ما

استشكل من الآيات في سورة البقرة الا وفق ضوابط ايراد المشكل .

2 - ان الاشكال لا يكون في اصل الآيات ، او شذوذ الفاظها ، وانما هو متعلق بفهم القاريء

لهذه الآيات ، فعلى هذا لا مانع من وجود المُشكل في القرآن الكريم .

3 - ان علم مُشكل القرآن يكشف عن اوجه اعجاز القرآن الكريم البياني والبلاغي.

4 - من خلال البحث لم يبق على اية مُشكلة استحالة حل مُشكلاتها ، او ايتين متعارضتين استحالة

الجمع بينهما ، وهذا مما يؤكد ان الاشكال يكون في فهم القرآن .

5 - ان مُشكل الآيات لا يدفع الا بمعرفة طرق الجمع والتوفيق والترجيح بين النصوص ، ومعرفة

دلالة السياق ، واسباب النزول ، ورد المتشابه المُشكل الى المحكم وغير ذلك.

والحمد لله رب العالمين .

Abstract

1. The difficulty in the Quran is a relative matter; what may be difficult for one person may be difficult for another. This demonstrates that not every difficulty in a verse deserves consideration and deserves its own place in the discussion. Therefore, Ibn Ashur did not address every difficulty in Surat Al-Baqarah except in accordance with the guidelines for presenting difficulty.
2. The difficulty does not lie in the origin of the verses or the irregularity of their wording, but rather relates to the reader's understanding of these verses. Therefore, there is no objection to the existence of difficulty in the Holy Quran.
3. The science of difficulty in the Quran reveals aspects of the Quran's rhetorical and eloquent miraculousness.
4. Through research, no difficulty was found that was impossible to resolve, nor two conflicting verses that were impossible to reconcile. This confirms that the difficulty lies in understanding the Quran.
5. The difficulty in verses can only be resolved by understanding the methods of combining, reconciling, and weighing texts, understanding the significance of the context, the reasons for revelation, and referring ambiguous and problematic verses to clear texts, etc.

Lord of the Worlds, Praise be to God

المصادر

- 1- ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتتوير، دار التونسية للنشر، تونس، 1984.
- 2- ابن فارس، احمد، مقاييس اللغة، تح عبد السلام محمد، دار الفكر، 1979.
- 3- ابن قتيبة، تأويل مُشكل القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1973.
- 4- ابن كثير، عماد الدين ابي الفداء، تفسير ابن كثير، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998.
- 5- ابن منظور، لسان العرب، دار المعرفة، ط3، القاهرة، 2004.
- 6- الاندلسي، ابو محمد عبد الحق بن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح عبد السلام، دار الكتب العلمية، 2001.
- 7- الاندلسي، محمد بن يوسف ابن حيان، البحر المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007.
- 8- البخاري، محمد إسماعيل، صحيح البخاري، دار ابن كثير، بيروت، 1944.
- 9- البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد، تفسير البغوي، دار طيبة، 1989.
- 10- بن مالك، جمال الدين محمد بن عبد الله، شرح الكافية الشافية، تح عبد المنعم هريري، جامعة ام القرى، مكة المكرمة، 1982.
- 11- الجرحي، ابراهيم محمد، معجم علوم القرآن، دار القلم، دمشق، 2001.
- 12- حسن، عباس، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ط15.
- 13- الحلبي، السمين، الدر المصون، دار القلم، دمشق، 2011.
- 14- درازة، صباح عبيد، اسرار الوصل والفصل في البلاغة القرآنية، مطبعة الامانة، مصر، 1986.
- 15- الرازي، الفخر، مفاتيح الغيب، دار احياء التراث العربي، ط3، بيروت، 2000.
- 16- الزجاج، ابو إسحاق، معاني القرآن واعرابه، عالم الكتب، بيروت، 1998.
- 17- الزمخشري، تح محمد باسل، اساس البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005.
- 18- الزمخشري، محمود بن عمرو جار الله، الكاشف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتب العربي، ط3، بيروت، 1986.
- 19- السبكي، تقي الدين ابو الحسن الكافي، الابهاج في شرح المنهاج، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995.

- 20- السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ابو الفضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974.
- 21- الشرقاوي، السيد، معاجم غريب الحديث والاثر والاستشهاد بالحديث في اللغة والنحو، مكتبة الحاجي، القاهرة، 2001.
- 22- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير، دار ابن كثير، دمشق، 1994.
- 23- الشوكاني، محمد بن علي، ارشاد الفحول في تحقيق الحق من علم الاصول،، تح احمد عزو، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998.
- 24- الطبري، ابن جرير، تفسير الطبري، تح احمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2000.
- 25- العمري، محمد امين، تيجان البيان في مشكلات القرآن، تح حسن الزرروط، مطبعة اشبيلية، بغداد.
- 26- الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2005.
- 27- القاسمي، محمد جمال الدين، محاسن التأويل، تح محمد فؤاد، دار الحلبي، 1957.
- 28- القرآن الكريم
- 29- القرطبي، الجامع لاحكام القرآن، تح احمد البردوني، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1964.
- 30- النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، دار الكتب العلمية، بيروت، 1955.